إنّ فعل القراءة كأساسٍ لبناء المعرفة والوعي والثقافة، هو ما توجه به القرآن سبحانه وتعالى إلى رسوله في أوّل خطابٍ له بالوحي، وهو ما أراده القرآن لأُمَّتِه أن تكون: الأُمَّة القارئة والأُمَّة الواعية. وفي نظرة إلى الماضي الإسلامي تؤكد هذا المعنى، فالمنهج القرآني المُفتدَح بـ(اقْرَأْ)، والاهتمام الذي أولاه الإسلام بالكتابة والقراءة ومحو الأُمِّيَّة، واضح وجليّ، من خلال عتق الأسارى لقاء التعليم، وهذه البذرة التغييرية، هي التي نقلت العرب من مجتمعٍ جليلٍ أُمِّيٍّ - وإن كان يتقن فنون الشعر -، إلى أُمَّة متعلّمة انتشرت فيها المكتبات العامّة، وحتى المقاهي الثقافية ودور الأوراق والترجمة التي كانت حركتها نشيطةً ومكافأتها جزيلة.

كما وإنّ (اقْرَأْ) التي خاطب بها رسوله، هي ليست (اقْرَأْ) في الإطار الشرعي فقط، بل هي (اقْرَأْ) مقرونةً بمفاهيم متناهية وغير محدودة كالخلق، حيث قرن القرآن بين القراءة والأُفق الأوسع، أُفق الخلق الطبيعي (العقل والآفاق والسموات والأرض)، والخلق الذاتي (الروح، وعلاّم الإنسان ما لم يعلم). أراد القرآن لـ(اقْرَأْ) أن تكون نافذةً واسعةً للإنسان على الإنسان وعلى الطبيعة وعلى الخالق، لينهل من العلوم والتجارب والظواهر والأفكار، من علوم الناس على اختلافاتهم العقديّة والفلسفيّة والفكريّة، وغيرها من العلوم التي نحن مدعوّون لنقرأها.

ومن هنا، عندما نتحدّث عن كميةٍ أو إحصاءاتٍ عن عدد الساعات أو الدقائق التي يقرأ بها الفرد، فهذه على فرض صحّة الإحصائيات، مهمّة، لكنّ الأهمّ هو نوع القراءة وتنوّعها وعمقها وجدّيّتها، فإنّ قرأ المرء الساعات الطوال يوميّاً بما لا يُخرج العقل من حدود الدوائر الضيّقة التي يعيشها الإنسان، فهذه قراءة لا توصلك إلى الفضاءات الرحبة، بل المطلوب القراءة الموسعة التي يراد منها تكسير الحواجز وردم الهوّات وتوسعة الآفاق، والتعرّف إلى الآخر.